مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (39) العدد (5)2017
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (5) 2017

الاحتلال البرتغالي لسواحل المغرب الأقصى
818-996هـ/1415-1587م

الدكتورة إلهام يوسف*
ولاء علي صقر**

(تاريخ الإيداع 13 / 10 / 2016. قبل للنشر في 29 / 8 / 2017)

ملخّص

تبحث هذه الدراسة في الاحتلال البرتغالي لسواحل المغرب الأقصى والتي تحكمها جملة من المعطيات، وهي قرب البرتغال، والظهور المبكر لدولة البرتغال وسعيها لتحقيق مشاريعها الكبيرة في المغرب لجملة من الأسباب، ترافقها العديد من الحملات التي ستتناولها الدراسة، فكانت بذلك من أوائل الدول التي سعت للحصول على مواقع لها في المغرب، حيث احتلت مدينة سبتة في المغرب الأقصى عام818هـ/ 1415م، إلا أن هزيمتها في معركة وادي المخازن خيبت آمالهم وجعلتها فريسة لعدوتها إسبانيا التي كانت تسعى لبسط نفوذها على المغرب.

الكلمات المفتاحية: الاحتلال – البرتغال–المغرب

* أستاذ مساعد، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية
** طالبة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (39) العدد (5)2017
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (5) 2017

Portuguese occupation of the coast of Morocco Far 818-996/1415-1587

Dr.Elham Youssef*
Walaa Ali Saker**

(Received 13 / 10 / 2016. Accepted 29 / 8 / 2017)

□ ABSTRACT □

This study examines the Portuguese occupation of the coast of Morocco Al-Aqsa , which is governed by a set of data, which is near Portugal , and earlier emergence of the State of Portugal and the pursuit of big projects in Morocco for a variety of reasons, accompanied by many of the campaigns that covered in the study , was thus one of the first countries that sought on sites in the Maghreb where he occupied the city of Ceuta in Morocco in 1415 AD ,the great and the marina from Algeria ,but the defeat in the battle of Valley stores disappointed hopes and made them prey to the enemy was Spain , which is seeking to extend its influence over Morocco .

Key words: Occupation- Portuguese –Morocco

*Associate Professor, Department of History, Faculty of Arts and Humanities ،Tishreen University,.
**Postgraduate Student, Department of History, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia , Syria .

مقدمة:

تقع البرتغال غرب شبه الجزيرة الايبيرية ، تطل على المحيط الأطلسي من الناحية الغربية ، كان بينها وبين مملكة ليون الإسبانية مشاكل حدودية لذلك لم تعرف حدودها الثبات والاستقرار وخاصة من الناحية الجنوبية بسبب أحداث حرب الاسترداد ،حيث سيطر المسلمون على الرقعة الجنوبية من البرتغال باعتبارها أهم القواعد الإسلامية الباقية ، لتدخل بعد ذلك البرتغال بما يسمى حرب الوراثة والتي انتهت بتدخل البابوية .

ظهر الخطر البرتغالي على المغرب منذ بداية القرن الخامس عشر الميلادي واشتد في أواخر هذا القرن، حيث شهد المغرب حالة من الضعف والانقسامات بسبب الخصومات القائمة بين المرنيين والزيانيين من جهة، وبينهما وبين الحفصيين من جهة أخرى، إثر انهيار دولة الموحدين فاستقل الحفصيين في المغرب الأدنى وجانب من المغرب الأوسط وأصبح بنو زيان بذلك تحت رحمتهم، وبني عبد الواد في المغرب الأوسط وبني مرين في المغرب الأقصى، فعرض ذلك الانقسام المغرب للغزو الأجنبي.

وفي بداية القرن السادس عشر كان البرتغاليون يسيطرون على معظم سواحل المغرب الأطلسية، وكان المغرب الأقصى في هذا الوقت يمر بأزمة سياسية واقتصادية واجتماعية حادة، وبالرغم من أن وضعه لم يكن أسوأ حالاً من باقي أقطار المغرب الأخرى، إلا أنه انفرد بوضع خاص، فهو لم يتطلع إلى قوة خارجية لإنقاذه أو مساعدته كما فعلت الأقطار الأخرى بل اعتمد على قواه الخاصة وظهر رد الفعل بحركة دينية وطنية دفعت إلى سدة الحكم بأسرة عربية من الأشراف هم السعديين الذين قادوا المغاربة لصد الخطر البرتغالي.

أهمية البحث وأهدافه:

يحاول البحث تقديم رؤية شاملة عن الاحتلال البرتغالي لسواحل المغرب الأقصى في محاولة لجعل البحث مرجعا متواضعا ومساعدا من حيث معرفة ماهية الأسباب والدوافع التي جعلت البرتغال تتجه لهذا الجزء من افريقيا بشكل خاص، والتعرف على النكسة التي أصابت البرتغاليين ومنعتهم من تحقيق حلمهم في احتلال المغرب.

منهجية البحث:

اعتمدت هذه الدراسة منهجاً تاريخياً استقرائياً يقوم على قراءة الأحداث وتحليلها، واستخدم أيضاً المنهج التركيبي الذي يعتمد على تفكيك الأحداث وتحليل أسبابها ونتائجها ثم يعيد تركيبها مكوناً منها وحدة تاريخية، ثم المقارنة بينها لاستخلاص الأفكار المناسبة والتوصل إلى ما يفيد البحث منها.

النتائج والمناقشة:

أولاً –أسباب الاحتلال البرتغالي لسواحل المغرب الأقصى:

كان القرن الخامس عشر بداية للتوسع الاستعماري الذي شاركت فيه بعض الدول المسيحية بأساطيلها التجارية والحربية، وعلى الخصوص إسبانية والبرتغال، وكان المغرب من البلاد التي طمعت البرتغال في استغلالها اقتصادياً، كما كان لهذه الدولة أسباب دعتها إلى تقوية وضعها عن طريق الاستيلاء على المواقع الاستراتيجية بالمغرب، لذلك سنستعرض الأسباب التي دفعت البرتغاليين للاستيلاء على شواطئ المغرب الأقصى:

الدوافع الاقتصادية:

طغت العوامل الاقتصادية على غيرها من العوامل وخاصة بعد وصول البرتغاليين إلى المراكز التجارية بغرب افريقيا وتوغلهم نحو الداخل ونجاح فاسكو دي غاما (Vasco De Cama) في ربط لشبونة[1] بالهند عن طريق رأس الرجاء الصالح البحري، إلى جانب احتفاظ ملوك البرتغال بشعار الحروب الصليبية لدفع البرتغاليين إلى المشاركة في المجهود الحربي والحصول على مساعدة البابوية ومن مظاهر هذه العوامل:

1 - الحاجة إلى القمح:

كانت البرتغال قليلة الموارد وتعاني من ظروف طبيعية ساهمت في الحد من فرص الاستغلال الزراعي، فالتربة قليلة الخصوبة في أنحاء البلاد عدا الأودية بالإضافة إلى عدم انتظام الأمطار على مدار السنة و الاقتصار على زراعة الحبوب، مما أدى إلى انتشار الجفاف و المجاعة، لذا ظل الإنتاج الزراعي ضعيفاً، و أكدت الدراسات أن معاناة البرتغال من نقص الحبوب كانت مستمرة نتيجةً لأسباب طبيعية و أخرى بشرية لها علاقة باستغلال المزارع و الملكية العقارية، لذا اضطرت البلاد نتيجة لتزايد عدد السكان إلى استيراد القمح و الشعير و أصناف أخرى من الحبوب مرة كل ثلاث سنوات من شمال أوروبا و إنكلترا و فرنسا و إسبانيا و صقلية[2].

ففي سنة 681هـ/1282م استوردت مدينة فاروا غرب البرتغال حبوب المغرب، ولهذا لم يتردد بعض المؤرخين في ربط احتلال السواحل المغربية بمحاولة البرتغاليين ضمان هذه المادة الأساسية لبلادهم [3].

2-الأزمة النقدية (الحاجة إلى الذهب):

كانت معظم دول أوروبا تعاني من أزمة نقدية كبيرة مما دفعها للتوجه إلى المغرب العربي، وقد كتب شوني أحد المؤرخين المعاصرين لفترة محاولة البرتغاليين احتلال المغرب بهذا الخصوص: ".... ولكن أكثر من القمح إنه الذهب الذي دفع قهراً البرتغاليين نحو موانئ المغرب وذهب السودان...."[4].

كانت أفريقيا في نظر الأوروبيين مصدر غنى وثراء، وخاصة أن بعض مناطقها اشتهرت بمعدنها الذهبي وتجارتها مع قوافل التجار المسلمين وتبادل البضائع معهم، ومن المعلوم ان المغرب العربي كان يعتمد في توازنه الاقتصادي والاجتماعي على تجارة القوافل الصحراوية وخاصة تجارة الذهب [5]، لكن أوروبا كانت منقسمة في ميدان العملة إلى قسمين: قسم بالشمال يعتمد على الفضة لتوافرها في مناجم ألمانيا ووسط أوروبا وقسم جنوبي يعتمد على الذهب المستورد من سواحل المغرب العربي.

و قد أدى المغرب العربي دور الوسيط بين السودان الذي يعد مصدراً للتوابل و التبر و بين جنوب أوروبا [6]، وأمام هذا البريق الذهبي الافريقي و من أجل الحصول عليه، شهد القرن الثالث عشر قدوم الكثير من التجار الفرنسيين و البرتغاليين و الإيطاليين إلى السواحل المغربية، إلا ان المغرب خلال القرن التالي أصبح عاجزاً عن تغطية كل الطلب الأوروبي فتجارة القوافل لا يمكنها تخطي مستوى معين من العرض إذ لم يكن بإمكان المغرب إدخال أي تطور

---

[1] **لشبونة: مدينة قديمة من مدن الأندلس قريبة من البحر غربي قرطبة وفيها يعد التبر الخالص ملكها الافرنج في سنة 573 ولاتزال بأيديهم إلى الآن. ياقوت الحموي. *معجم البلدان*، ج5 (بيروت: دار صادر، د.ت) ص 16**

[2] **أحمد بو شرب. *مغاربة في البرتغال خلال القرن السادس عشر*، (الرباط: منشورات كلية الآداب، ط1، 1996م) ص 74-75**

[3] **أحمد بو شرب. *دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء أسفي وأزمور*، ص 154-155**

[4] **أحمد بو شرب. *دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء أسفي وأزمور*، ص 154-155.**

[5] **محمد رزوق. *دراسات في تاريخ المغرب*، (الدار البيضاء. دار إفريقيا الشرق، 1990م) ص144.**

[6] **أحمد بو شرب. *وثائق ودراسات عن الغزو البرتغالي ونتائجه*، (الرباط: دار الامان ط1، 1997م) ص 160.**

على هياكل ووسائل تجارته عبر الصحراء[1]، كما أن احتلال سبتة أهم ثغر مغربي و أكبر أسواق الذهب بالمغرب في عهد الملك البرتغالي يوحنا الأول وأبنائه شكل ضربة خطيرة للمغرب حيث مهد الطريق لاحتلال بقية الموانئ من قبل البرتغاليين[2].يمكن القول إن أوروبا لم تعرف فقراً لهذه المادة كما عرفته بين عامي 751-906هـ/ 1350-1500 م حيث توقف سك العملة الذهبية بالبرتغال بعد عام 1383 م لمدة خمسين عاماً، لتختفي بذلك العملة الذهبية البرتغالية، الأمر الذي نتج عنه تضخم مالي خطير، إلى أن انطلقت حركة الكشوف الجغرافية [3].

و في عام 865هـ/1460م قام البرتغاليون بفتح و تنصير شواطئ أفريقيا الغربية ووصلوا إلى مصب نهر السنغال، وأسسوا مركزاً تجارياً يحرسه حصن بالقرب من الرأس الأبيض و منه بدأوا بالمتاجرة بالذهب والرقيق كما أنهم حصلوا على امتياز بابوي يسمح لهم بالتنقل في هذه الأصقاع و المتاجرة بها، و في عام 886هـ/ 1481 م أسس البرتغاليون في خليج غينيا قصر المينا و كانوا في هذا الموقع يشترون الذهب من السكان المحليين، الذين أخذوا يجمعونه من الأنهار المجاورة له، و توالت بعد ذلك الرحلات و **حركة الكشوف الجغرافية** إلى أن تم التوصل إلى اكتشاف طريق الهند و العالم الجديد[4].

وفي فترة إشراف هنري الملاح(Henry the Navigator) [5] على الكشوف وتفشي الأزمة النقدية طمح البرتغاليون للوصول إلى مناطق الذهب والعبيد قبل أن تتجه الدولة بعد وفاته إلى فتح طرق بحرية إلى الهند التي كانت محط آمال البرتغاليين وهدفهم الأول في مشروعات البحث وذلك لتميزها بتوابلها الشهية والمحاصيل الثمينة إلى جانب تجارتها الرابحة، فقد أصيب الأوروبيون بحمى البحث عن مصدر التوابل، وأصبحت جزر التوابل وكأنها بالنسبة للأوربيين هي الجنة التي يسعون للوصول إليها [6].

كان لسبتة دور مميز في تبني عملية الكشوف، فهي تقع في منطقة تعد نقطة انطلاق ضرورية للسفن الداخلة إلى أفريقيا والعالم الجديد [7].

أوفد ملك البرتغال عام 903هـ/1497 م فاسكو دي غاما ليكتشف الطريق الملاحي المرتجى، و لكنه لم يتردد في عام908هـ/ 1502 م من إضرام النار في سفينة تقل حجاجاً كانوا في طريق عودتهم إلى الهند، و بالرغم من المحاولات التي بذلوها لافتداء أنفسهم إلا أن جميعها باءت بالفشل، و هكذا نرى أن هدف البرتغاليين من عملية الكشوف كانت ضرب مصالح العالم الإسلامي بجزأيه الغربي و الشرقي و ذلك من خلال إبعاد التجار المسلمين عن الهند، و إغلاق باب المندب للقضاء على الملاحة العربية، و حرمانه من عناصر قوته المتمثلة بالوساطة التجارية بين

---

[1] **مجموعة معدين، أحمد أبو شرب، عبد الله العربي وآخرون. *دراسات في تاريخ المغرب والنهضة العربية مهداة للأستاذ محمد المنوني*، (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، د.ت) ص186-187.**

[2] **أحمد بو شرب. *دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء أسفي وأزمور* ، ص 155. وانظر أيضاً: *دراسات في تاريخ المغرب والنهضة العربية*، ص 188**

[3] **عبد القادر فكاير. *العلاقات الجزائرية البرتغالية خلال العهد العثماني*" ، دورية كان التاريخية، العدد الثامن عشر . (ديسمبر 2012 م): ص24**

[4] **نبيل عبد الحي رضوان." *جهود العثمانيين في الحد من التهديد البرتغالي للنشاط التجاري في الخليج العربي من خلال الوثائق العثمانية 1538-1559* م". (بحث)، مكة المكرمة: جامعة ام القرى(د.ت): ص 3.**

[5] **هنري الملاح(1394-1460م): أمير برتغالي رعى ومول رحلات الكشوف التي أدت إلى إنشاء الإمبراطورية البرتغالية فيما وراء البحار. منير البعلبكي. *معجم أعلام المورد*، (بيروت: دار العلم للملايين، ط1، 1992م) ص479.**

[6] **أحمد بو شرب. *دراسات في تاريخ المغرب والنهضة العربية* ، ص 202**

[7] **عبد الحميد صبحي ناصف." *الخليج العربي والبحر الأحمر في وثائق برتغالية* ". د.م(5 نيسان 2013 م): ص3**

مناطق إنتاج التبر(الذهب) و تصدير الحرير و التوابل و العبيد و غيرها ،الأمر الذي طبع مخططاتهم بطبعة صليبية[1].

3-الحاجة إلى العبيد:

كانت أوروبا بحاجة إلى عدد كبير من اليد العاملة خاصة بعد وباء الطاعون الأسود عام 749هـ/1348 م الذي انتزع من أوروبا عدداً كبيراً من سكانها مما دفع هنري الملاح للاهتمام بهذه السلعة كثيراً، فكان حريصاً على تسلم عشر ما يدخل إلى البرتغال من عبيد نتيجة احتكاره للمناطق المصدرة لهم الأمر الذي دفع القبائل الحليفة للتخلي عن كل غنائمها مقابل تخلي البرتغال عن كل الأسرى.

و قد اعتاد تجار غرب أفريقيا تسليم الذهب و العبيد مقابل مجموعة من المواد كانت التجار المغاربة يزودونهم بها منذ قرن و أهم تلك المواد زيادة على الملح والخيول كانت الأنسجة الصوفية والأواني النحاسية والقمح، و لأنهم لم ينجحوا بإقناع المتعاملين بأخذ سلع أخرى شرعوا في جلب الحياك و الجلابيب و الحبوب من وهران و تونس و بجاية و تلمسان و شمال غرب أوروبا [2]، حيث تتجلى أهمية هذا العمل في الاجراءات القانونية والإدارية المتخذة من الدولة البرتغالية لتشجيع استيراد العبيد إلى البلاد، منها إعفاء التجار من تأدية ما عليهم من ضرائب جمركية، و معارضة تصدير ما يجلب من عبيد البرتغال، و بهذه الإجراءات أصبح العبيد يشكلون عشر العاصمة لشبونة[3].

كان العبيد عبارة عن أسرى يمثلون نسبة مهمة من الجالية المغربية عانوا بالإضافة إلى ظروف المعيشة القاسية من فقدان حريتهم، حيث عدَ الأسرى مجرد بضاعة قابلة للمقايضة و البيع و لم تكن كرامتهم تؤخذ بعين الاعتبار فكانوا يبادلون بعبيد آخرين أو يعارون أو يمنحون كهدايا ببعض المناسبات للسلاطين والأسر النبيلة التي ضمت قصورها المئات منهم، و كان اقتناؤهم بالنسبة للمواطن العادي يعتبر استثماراً مريحاً حتى أن الكنيسة أقبلت على اقتناء العبيد وأوكلت إليهم مهمة الاعتناء بالخيول و الدواب و القيام باستصلاح الأراضي الزراعية بالجزر الأطلسية بالإضافة إلى أعمال البناء[4].

كما اتخذ الأسرى كعبيد لتجديف ثلاث سفن توجه بها كريستوفر كولومبس(Christopher Columbus) [5] لاكتشاف أمريكا898هـ/ 1492م.

-الدافع الاستراتيجي:

يتمثل بأهمية المنافذ البحرية بالمغرب الأقصى و الخليج العربي ، فالمغرب يشرف على بحرين هامين هما: البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي منطلق الأوربيين إلى افريقيا الغربية جنوباً، و أور وبا الغربية شمالاً و العالم الجديد غرباً بالإضافة إلى تحكمه بمضيق جبل طارق الذي لا تخفى أهميته، و كان من شأن السيطرة على هاتين المنطقتين التحكم بسهولة في طريق المواصلات العالمية و جعل سكانها تحت رحمة المسيطر [6]، و تتجلى أهمية هذا

---

[1] **أحمد بو شرب. مرجع سابق، ص 184.**

[2] **أحمد بو شرب. *وثائق ودراسات عن الغزو البرتغالي ونتائجه*، ص 181**

[3] **أحمد بو شرب. *دراسات في تاريخ المغرب والنهضة العربية*، ص168**

[4] **أحمد بو شرب دكالة. *مغاربة في البرتغال خلال القرن السادس عشر*، ص 103-104**

[5] **كريستوف كولومبس(1451-1506م): ملاح إيطالي عمل بخدمة اسبانيا، مهدت رحلاته الأربع إلى العالم الجديد السبيل لحركة الاستكشاف والاستعمار الأوربية. منير البعلبكي. *معجم أعلام المورد*، ص 376**

[6] **عبد الكريم الفيلالي. *التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير*، ج3، (القاهرة: شركة تاش للطباعة، ط1، 2006) ص 249**

العامل في تحميل البرتغال تكاليف بشرية و مالية ضخمة للحفاظ على تلك المدن التي احتلت كسبتة و القصر الصغير و أصيلا و طنجة، التي لها فائدة اقتصادية كبرى أولاً[1]،

كما يتجلى في كون أصيلا [2] وطنجة و تعتبران أكبر منطقة في غرب افريقيا لإنتاج التبر وقد أولاها البرتغاليون عناية خاصة نظراً لأهميتها العظمى لكنهم لم يستطيعوا احتلال كل الثغور الشمالية و بقيت تطوان و سلا[3] و العرائش حرة.

-الدافع الديني:

كان عامل نشر المسيحية وإعلاء كلمتها وتتبع المسلمين المطرودين من الأندلس والوصول إلى الحجاز عاملاً مهماً في اندفاع البرتغاليين نحو المغرب، فطالما كان البرتغاليين من أوائل المسيحيين الذين استجابوا بحماس لنداء الذين كانوا يدعونهم للجهاد ضد المسلمين الذين طردوا من الأندلس وغزو بلادهم بقصد توسيع فتوحاتهم عام 898هـ/ 1492م [4].

وقد أعطى مؤرخي هذه الفترة البرتغاليين تبريراً لتوسعهم فيما وراء البحار والذي كان هدفهم منه القضاء على الإسلام، ونشر العقيدة الكاثوليكية بين الأفارقة حيث صرح الأمير هنري بأنه سيمنح (وسام السيد الأعظم) وهو أكبر وسام في بلاده لمن يجاهد في هذا الميدان [5].

وذكر الإخباري جواد دو باروش أن بلاده هي الوحيدة من باقي الدول الأوروبية التي لم تتحالف مع المسلمين وبأنهم تفوقوا على باقي الشعوب الأوروبية بهذا العمل التبشيري وبالحرب التي أعلنوها على الإسلام، وأن القدرة الإلهية هي التي كلفت البرتغاليين بالانتقام للمسيحية من الإهانات التي تعرضت لها على يد الإسلام، ولكن البرتغاليين فشلوا كلياً في نشر المسيحية ولا عبرة ببعض الأفراد الذين تتناولهم بعض تقارير المسيحيين والذين اعتنقوا المسيحية لأغراض شخصية بحتة [6].

كان للكنيسة دوراً مهماً في ذلك حيث عملت على إذكاء روح العداء عند البرتغاليين تجاه المسلمين فأصبحت محاربتهم مسألة مصيرية عند خاصة الناس و عامتهم فالتقت مصالحهما مع بعضهما و أعلنوا الحرب على المسلمين في حين كان النفوذ التركي يتقدم بحوض المتوسط ووسط أوروبا الأمر الذي أقلق البابوية وأخافها، ولكن البرتغاليين أعطوا البابوية نوعاً من الاطمئنان من الناحية الغربية و خلال المعارك الطويلة أدى البابا إلى جانب الكنيسة دوراً كبيراً

---

[1] محمد رزوق. *دراسات في تاريخ المغرب*، ص 144

[2] أصيلا: مدينة كبيرة يسميها الأفارقة أزيلا، أسسها الرومان على شاطئ المحيط الأطلسي وكانت خاضعة لأمير سبتة ثم استولى عليها القوط إلى أن أخذها منهم المسلمون واحتفظوا بها طول 220 سنة، فهاجمها الانكليز وخربوا المدينة وبقيت كذلك حتى أعاد بناؤها ملوك قرطبة. الحسن بن محمد الوزاني. *وصف أفريقيا*، ج1، تر: محمد حجي ومحمد خضير (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1983 م) ص 312.

[3] سلا: مدينة أزلية بناها الرومان وتغلب عليها القوط، بنيت على شاطئ المحيط على مقربة من الرباط، ويفصل نهر أبي رقراق بين المدينتين. المصدر السابق نفسه، ص 207-208

[4] إبراهيم حركات. *المغرب عبر التاريخ*، ج2 (الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، 2000 م) ص 183.

[5] محمد رزوق. *دراسات في تاريخ المغرب*، ص 142.

[6] JOAO, DE BARROS. *Décadas da Asia*.(Lisboan :Agencia das ColÓnias,(1945) P43

في تشجيع المحاربين على القتال و الصمود و ذلك من خلال منح الألقاب و الأوسمة لأبطال الغزو ضد المسلمين و مباركة انتصارات البرتغاليين[1].

ثانياً –الحملات البرتغالية على سواحل المغرب الأقصى:

مر التدخل البرتغالي في المغرب بثلاث مراحل:

الأولى (818–891هـ/1415– – 1486م): عهد الحماس البرتغالي والانطلاق لاحتلال مراكز جديدة باستمرار.

الثانية (891–921هـ/1486–1515م): عهد الحفاظ على المراكز المحتلة والانطلاق نحو مناطق أخرى لاستغلال خيراتها.

الثالثة (921–996هـ/1515–1587م): مرحلة تراجع وانسحاب عن بعض المراكز المحتلة لشدة الحصار والمقاومة الوطنية [2].

–المرحلة الأولى (818–891هـ/1415–1486):

تركز اهتمام البرتغاليين على الشمال فقاموا بعدة حملات كان أولها على سبتة:

1–احتلال سبتة (815هـ/1412م):

بدأ البرتغاليون مشروعاتهم المغربية بالاستيلاء على سبتة [3] التي كانت تتمتع بموقع استراتيجي هام لإشرافها على الطريق التجاري البحري بين جنوب أوربا وشمالها الغربي يضاف إلى ذلك مناجم الذهب التي كثيرا ما سمع البرتغاليون بوجودها في هذه المدينة الغربية [4]، وذلك بإعداد حملة بحرية ضخمة أحيطت بكل وسائل السرية والكتمان من أجل تحقيق أهدافها وطموحاتها، وذلك لتحقق لنفسها امتداداً خارج البحار بعد أن عجزت عن تحقيق ذلك داخل شبه الجزيرة الايبيرية وداخل القارة نفسها، فشكلت أسطولاً مكوناً من مئتين وعشرين سفينة حربية تقل ثلاثين ألف جندي، استطاعت به احتلال المدينة بعد حصار دام ست سنوات [5].

شكل سقوط سبتة إنذاراً بانهيار دولة بني مرين وتحولاً للوضع بالنسبة للمسلمين إذ ظهر عجز السلطان أبو سعيد المريني أمام شعبه الذي استاء من تلك الخسارة فتآمروا عليه و قتلوه، وولوا ابنه عبد الحق، ولأنه كان صغيراً اختار الشعب أبو زكريا الوطاسي والياً عليهم فأعد حملة عسكرية كبيرة هاجم بها المعسكر البرتغالي بسبتة، لكنه فشل نتيجة المقاومة البرتغالية الشديدة، فبدأت بذلك مرحلة جديدة من الصراع بين القوى الإسلامية في غرب البحر المتوسط،

---

[1] **أحمد بو شرب. *دكالة والاستعمار البرتغالي حتى إخلاء آسفي وأزمور* . ص 148–149.**

[2] **مؤلف مجهول. *"الاحتلال البرتغالي ومعركة وادي المخازن"*.مجلة دعوة الحق. 190(د.ت) ص1**

[3] **سبتة: مدينة عظيمة دعاها الرومان سيفيطاس، وسماها البرتغاليون سويتة، أسسها الرومان عند مدخل أعمدة هرقل فكانت عاصمة بلاد موريتانيا، احتلها القوط إلى أن جاء المسلمون ففتحوها، وذكر المقري أن سبب التسمية يعود إلى سبت بن يافث الذي نزل عدوة المغرب فسميت باسمه سبته. المقري (أبو العباس أحمد بن محمد). *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب* ، تح: إحسان عباس، ج1، (بيروت: دار صادر ،1988) ص111. محمد بن القاسم السبتي. *اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار* . تح: عبد الوهاب بن منصور (الرباط، ط2 ،1983م) ص72–73**

[4] **محمود علي عامر، محمد خير فارس. *تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى –ليبية)*، (دمشق: جامعة دمشق، د.ت) ص21.**

[5] **دريس بن مصطفى. *العلاقات السياسية والاقتصادية لدول المغرب مع دول جنوب غربي أوربا في الفترة 13–16م*، رسالة دكتوراه (تلمسان: جامعة أبي بكر بلقايد، 2013–2014م) ص 363.**

و القوى المسيحية بزعامة البابا ،و بداية للتوسع الاستعماري البرتغالي [1]ومن الجدير ذكره أن سياسة التوسع البرتغالي منذ احتلال مدينة سبتة أصبحت تهدف للسيطرة على مضيق جبل طارق وبالأخص المراكز الجنوبية الواقعة على الساحل المغربي، بهدف المحافظة على الطريق التجاري في الحوض الغربي من البحر المتوسط ، مما يفسر لنا الحملات المتواصلة التي تعرضت لها بعض المدن المغربية الأخرى[2].

2-احتلال القصر الصغير(863هـ/1458م):

وفي تلك الأثناء تمكن السلطان العثماني محمد الفاتح(855-886هـ/1430-1481م) من احتلال القسطنطينية[3] واتخاذها عاصمة له نظراً لموقعها الاستراتيجي بين أوروبا وآسيا، مما أدى إلى قلق البابا من امتداد النفوذ الإسلامي الذي راح يهدد الدول المسيحية فأخذ يشجع كل من إسبانيا والبرتغال على الاتفاق والتفاهم بينهما [4]، كما بارك قيام البرتغاليين بتجهيز حملة عام 863هـ/ 1458م، لاحتلال ميناء القصر الصغير بقيادة ألفونسو الخامس(Alfonso V) وبرفقته الأمير هنري ، وصلت الحملة إلى شواطئ طنجة و نظراً لعدم مساعدة الرياح فقد غير البرتغاليون خطتهم و اتجهوا إلى القصر الصغير بحجة أنه كان منطلقاً للسفن العربية التي تغزو الشواطئ المسيحية، ومصدر إزعاج للسفن المارة عبر المضيق [5]، وأنه بالإمكان الاعتماد عليه في تقوية سبته ومهاجمة طنجة نظراً لموقعه على مضيق سبتة وطنجة[6].

أعد هنري حملة مؤلفة من مئتين و ثماني سفن مقاتلة تصل قواتها إلى خمسة وعشرين ألف رجل ، تمكنت هذه القوات من السيطرة على المدينة بعد قتال طويل ساعدهم في ذلك تأخر وصول الامدادات المغربية لسكان البلاد في الوقت المناسب، و إصرار ألفونسو الخامس على تحقيق هدفه فأمر الأمير هنري أن ينصب السلالم للهجوم على المدينة، و لكن المغاربة أخذوا يسقطون المتسلقين إلى الأسفل ، بعد ذلك صوب الأمير هنري مدفعه محطماً جزءاً من السور فاستسلم السكان بعد أن يئسوا من أي نجدة و اقترحوا تسليم المدينة، شريطة أن يؤمنوا على أرواحهم و أمتعتهم مقابل أن يردوا الأسرى المسيحيين و يسلموا الرهائن، مما أدى إلى توقف المعركة بعد خسائر كبيرة واحتلال المدينة[7].

3-احتلال طنجة (876هـ/1471م):

لم تقتصر آمال البرتغاليين على إخضاع ميناء واحد بل كان هدفهم هو احتلال بلاد المغرب الأقصى بكامله للسيطرة على منابع الذهب و تجارته [8] ، فجهزوا حملة عام 840هـ/ 1436 م ، و لكنها فشلت في تحقيق هدفها في السيطرة على ميناء طنجة[9] فطلب ملك البرتغال من البابا أن يمده بقوات صليبية حيث تجمعت هذه القوات في لشبونة

---

[1] عبد الفتاح مقلد الغنيمي. *موسوعة المغرب العربي*. المجلد الثالث، ج6، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1994م) ص76

[2] عبد الكريم كريم. *المغرب في عهد الدولة السعدية*، (الرباط: منشورات جميع المؤرخين، د.ت) ص 7

[3] القسطنطينية: دار ملك الروم واسمها اصطنبول أيضاً بينها وبين المسلمين البحر المالح، بناها ملك من ملوك الروم اسمه قسطنطين فسميت باسمه. ياقوت الحموي. *معجم البلدان*، ج4، ص347

[4] فالح حنظل. *العرب والبرتغال في التاريخ 711-1720م*، (الامارات: منشورات المجمع الثقافي، ط1، 1977 م) ص98

[5] دريس بن مصطفى. *العلاقات السياسية والاقتصادية لدول المغرب الإسلامي مع دول جنوب غربي أوربا* ، ص 265-266.

[6] عبد الكريم كريم. *المغرب في عهد الدولة السعدية*، ص 8

[7] مارمول كربخال. ت. ر: محمد حجي ومحمد الأخضر وآخرون، ج 2 (الرباط: دار نشر المعرفة، 1988-1989م) ص 215.

[8] دريس بن مصطفى. *العلاقات السياسية والاقتصادية لدول المغرب العربي مع جنوب غربي أوربا* ، ص 363.

[9] طنجة: تدعى طنجة عند البرتغاليين طنجيرة، أسسها الرومان على شاطئ المحيط، وضمت إلى سبتة إلى أن سقطت بيد المسلمين. الحسن بن محمد الوزاني. مصدر سابق، ص 313-314.

لشبونة ثم تحركت للزحف عليها و محاصرتها براً و بحراً، وفي السنة التالية أوحى ملك البرتغال ألفونسو الخامس إلى ابنه فرناند بالزحف إلى مدينة طنجة سنة 842هـ/ 1438م بعدد كبير من الجند المنظم تحميهم السفن و المراكب بالإضافة إلى عدد من المشاة و الفرسان، إلا أن أخبار الحملة المكونة من ثمانية ألف مقاتل تسربت إلى مدينة طنجة فهزموا هزيمة منكرة على أيدي الأهالي و حامية المدينة الذين دافعوا عن ديارهم و عقيدتهم بقيادة أبي زكريا الوطاسي دفاعاً مستميتاً [1]، فاستسلمت القوات البرتغالية وعلى رأسها فرناند وقبل المغرب الأقصى انسحاب الجيش البرتغالي مقابل التخلي عن سبتة وترك فرناند رهينة ، إلا أن البرتغاليين رفضوا تسليم سبتة [2] ،وظل فرناند سجيناً لدى ملك فاس الذي عامله معاملة سيئة و ألزمه بخدمة خيله إلى أن مرض و مات ودخل في عداد شهداء البرتغال[3].

وبعد ذلك عزم ألفونسو على مهاجمة المدينة بنفسه عام 863هـ/ 1458م فأعد جنوده للهجوم ولكنه لم يتجرأ على مهاجمتها لشدة المقاومة المغربية، ثم تكررت محاولات الاستيلاء على طنجة عام 869هـ/ 1464م، ولم يتمكنوا من احتلالها إلا سنة 876هـ/ 1471م [4].

4-احتلال أنفا وأصيلا (876هـ/1471م)

كانت أنفا [5] منطقة شبه مستقلة منذ أواخر عهد بني مرين [6] فقصدها فرناند محاولاً احتلالها بحجة قيام سكانها بالقرصنة في الشواطئ المسيحية وإحداث إتلافاً فيها، فأعد جيشاً مكوناً من خمسين سفينة تقل عشرة آلاف جندي دخل به المدينة دون مقاومة وذلك لأن السكان فروا هاربين بمجرد رؤيتهم للأسطول البرتغالي، وبعد ذلك قام البرتغاليين بهدمها وبناء مدينة جديدة باسم الدار البيضاء [7].

و في عام 876هـ/1471 م وقع حدث عظيم حيث انتهز ملك البرتغال ألفونسو الخامس قيام الصراع على الملك بين الشريف الادريسي محمد بن علي و بين محمد الشيخ الوطاسي حاكم مدينة أصيلا، فاضطر محمد الشيخ إلى التخلي عن المدينة و محاصرة فاس، فدخلها البرتغاليون بأسطول مؤلف من 308 سفينة فيها ثلاثون ألف مقاتل و بلغ عدد أسراهم خمسة آلاف أما القتلى فكانوا ألفي قتيل ثم قاموا بتحويل مسجدها الأعظم إلى كنيسة [8]، و عندما علم محمد الشيخ بذلك ترك جزءاً من جيشه للاستمرار في حصار فاس و اتجه إلى أصيلا لنجدتها، و لكن الأنباء بلغته بسقوط أصيلا ووقوع أسرته أسرى لدى البرتغال، فوجد أن الحل الوحيد هو التفرغ لمحاربة خصمه في فاس و الاتفاق مع ملك البرتغال على هدنة تنص شروطها أن يطلق سراح زوجاته وأبنائه مقابل أن تحتل البرتغال العرائش إلى جانب

---

[1] فالح حنظل. *العرب والبرتغال في التاريخ* 711-1720م، ص 97-98.

[2] ابراهيم حركات. *المغرب عبر التاريخ*، ص 62

[3] فالح حنظل. *العرب والبرتغال في التاريخ 711-1720 م*، ص 98.

[4] ابراهيم حركات. *المغرب عبر التاريخ*، ص 62، وانظر أيضا مارمول كربخال ، *افريقيا*، ص 209 – 210

[5] أنفا: مدينة عظيمة أسسها الرومان غربي القسم القريب إليها من الأطلس، وشمال شرقي مدينة أزمور. الحسن بن محمد الوزاني، مصدر سابق، ص 196-197.

[6] بني مرين: فخذ قوي من قبيلة زناتة فجد المرنيين الأعلى الذي ينتسبون إليه " مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن جديج .... بن جانا وهو زناتة" وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أبعد من ذلك فرأى أن المرنيين " من زناتة، وزناتة عرب.. من مضروهم يجتمع نسبهم بنسب رسول الله(ص) في مضر وهم من ولد بر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان"
محمد عيسى الحريري. *تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني*، (الكويت: دار العلم للنشر والتوزيع، ط2، 1987م) ص3-4

[7] CASTONNET DES FOSSES. *Les Portugais au Maroc* (Paris : Librairie Felix Alcan ,1939) p10.

[8] إبراهيم حركات. *المغرب عبر التاريخ*، ص 171

أصيلا[1]، وتمكنت القوات البرتغالية من احتلال العرائش و أصيلا [2]سنة876هـ/1471 م ، و أصبح حاكم البرتغال منذ ذلك الوقت يلقب بملك البرتغال و الأقاليم البرتغالية فيما وراء البحار[3].

المرحلة الثانية (891هـ-921هـ/1486-1515م):

تركز النشاط البرتغالي في المرحلة الثانية على الجنوب إثر نجاحهم في أفريقيا ووصولهم إلى الهند فنزلوا عام 1502م على مقربة من ميناء **أزمور** وهو ميناء كبير على المحيط الأطلسي لكنهم لم يتمكنوا من احتلاله إلا عام 1513م، وعند ذلك بعث أهالي مدينة أزمور للملك البرتغالي رسالة يعربون بها عن طاعتهم ويخبرونه أنهم لم يأخذوا من المراكب البرتغالية أية ضرائب دليلاً على طاعتهم، ورفعوا الأعلام البرتغالية على بيوتهم راجين الملك البرتغالي أن يخبر ملوك النصارى ألا يتعرضوا لمراكبهم في البحر [4].

وفي عام911هـ/1505م استولى البرتغاليون على ميناء **أغادير** مرة ثانية بعد أن كانوا قد احتلوه عام 876هـ/ 1471م [5]، وفي عام913هـ/1507م تمكن البرتغاليون بوساطة قوة بحرية مؤلفة من خمسة آلاف من المشاة والجنود ومئتين من الفرسان من احتلال **آسفي**[6]، لأهمية المنطقة التجارية وغناها بالمحصولات الزراعية والمعدنية [7]، وتمكنوا وتمكنوا من احتلالها بعد ذلك اتجهت القوات البرتغالية إلى **المعمورية**[8] أي المهدية حيث بنوا معقلا ليجعلوه المركز الذي تتجه منه الحملات نحو فاس[9].

وفي عام915هـ/1509م حدث اتفاق بين الاسبان والبرتغال وبمقتضاه أعطى للبرتغال حق التوسع في مناطق سواحل المغرب الجنوبية الأطلسية مقابل اعتراف البرتغال للإسبان بمشروعية التوسع في المناطق الممتدة من باديس حتى مليلة في الجزء الشرقي من ساحل المغرب الشمالي، ولكن فشل البرتغاليين في احتلال الموانئ الشمالية بسبب شدة المقاومة هو الذي دفعهم للاتجاه إلى **مراكش** [10].

مهدوا لذلك بمحاولة استمالة بعض زعماء القبائل و المدن الداخلية و لكنهم قوبلوا بالرفض، ونتيجة لفشلهم أعطيت الأوامر للقوات البرتغالية المرابطة في آسفي و أزمور بالتهيؤ لاحتلال مراكش، لكن المحاولة باءت بالفشل نتيجة للمساعدة التي قدمها حاكم فاس للمجاهدين [11] ' مما جعل البرتغاليون يدركون أن احتلال المغرب مرتبط

---

[1] عبد الفتاح مقلد الغنيمي. *موسوعة المغرب العربي*، ص 22-23

[2] فالح حنظل. *العرب والبرتغال*، ص 99

[3] عامر أحمد عبد الله حسن. *دولة بني مرينو سياستها اتجاه مملكة غرناطة الأندلسية والممالك النصرانية في إسبانيا (1269-1465م)*، رسالة دكتوراه (فلسطين: جامعة النجاح الوطنية بنابلس، 2003م) ص 165

[4] فالح حنظل. *العرب والبرتغال*، ص 109

[5] إبراهيم حركات. *المغرب عبر التاريخ*، ص 172

[6] الحسن بن محمد الوزاني. مصدر سابق، ص 150

[7] عبد الكريم كريم. *المغرب في عهد الدولة السعدية* ، ص9

[8] المعمورية: مدينة صغيرة أسسها أحد ملوك الموحدين على مصب نهر السبو تبعد عن سلا اثنين وعشرين ميلاً. الحسن بن محمد الوزاني. مصدر سابق، ص 210.وانظر أيضاً إبراهيم حركات. مرجع سابق، ص 17

[9] مؤلف مجهول." *احتلال البرتغاليين للثغور المغربية*". مجلة دعوة الحق. العدد 190(د.ت) ص1

[10] عبد الفتاح المقلد الغنيمي. *موسوعة المغرب العربي*، ص 81

[11] عبد الكريم كريم. *المغرب في عهد الدولة السعدية* ، ص 43

باحتلال فاس[1] و القضاء على الحكم الوطاسي، و هكذا لم يبق بأيدي المغاربة سوى سلا و رباط الفتح التي تحولت إلى حصون إسلامية قوية ، فكان للبرتغاليين بذلك النصيب الأكبر من الموانئ المغربية في الجنوب ، في حين كان توغلهم في الشمال والداخل محدوداً لا يتعدى كونه عبارة عن حملات تأديبية نتيجة المقاومة الشعبية والوطنية[2].

ومنذ ذلك الوقت والمغاربة يسعون لاسترجاع المناطق المحتلة على الشواطئ، وساعد على ذلك قيام الدولة السعدية التي جعلت مهمتها تحرير المغرب من النفوذ المسيحي وتوحيد البلاد [3]، وبالرغم من ظهور القوة العثمانية في في الشرق الاوسط فإن المغرب العربي لم يشهد ارتياحاً أو تحسناً إلا بظهور القوة السعدية في الجنوب والتي كان عليها أن تحارب على ثلاث جبهات:

الجبهة الأولى كانت ضد مراكز الاحتلال البرتغالي حيث استطاعت القوة السعدية الناشئة أن تقض مضاجع البرتغاليين في مناطق احتلالهم بالجنوب، وعلى أثر ضرباتهم القوية جلا البرتغاليون عن حصن فونتي، وآسفي وأزمور وغيرها [4].

والجبهة الثانية ضد الوطاسيين الذين ملكوا شمال البلاد وتمركزوا فيه تمركزاً قوياً مما جعل التغلب عليهم أمراً صعباً، وجرت بين الوطاسيين [5] والسعديين [6] معارك ضارية دامت نصف قرن من الزمن.

أما الجبهة الثالثة فكانت ضد الأتراك العثمانيين الذين سيطروا على أجزاء كبيرة من شمال إفريقيا وحاولوا بكل الوسائل ضم المغرب إلى مناطق نفوذهم، إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل.

ولذلك فإن القوة الجديدة بالمغرب كانت ظروفها صعبة فكان عليها أن تحارب في عدة جبهات إلا أن الحماس الشعبي وإرادة التخلص من الاحتلال الأجنبي زاد من عزيمتها فاستطاعت أن تذلل الكثير من الصعاب أمامها [7].

ذلك كان تمهيداً للمعركة الفاصلة و هي معركة **وادي المخازن عام 996هـ/1587م**[1] و التي تعد من أشهر المعارك التي خاضها المغاربة ضد البرتغاليين، فما ن تسلم الدوق سبستيان العرش البرتغالي عام 965-

---

[1] فاس: قاعدة بلاد المغرب وهي أعظم مدينة من مصر إلى آخر بلاد المغرب. ومدينة فاس مدينتان كبيرتان متفرقتان بينهما نهر كبير يسمى بوادي فاس، يدور عليها سور عظيم، مؤلف مجهول. *كتاب الاستبصار في عجائب الامصار*، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد. (الدار البيضاء، دار النشر المغربية، 1985م) ص 180

[2] عبد الفتاح المقلد الغنيمي. *موسوعة المغرب العربي*، ص 84-94. وانظر أيضاً: محمود علي عامر، محمد خير فارس. *تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى-ليبية)*، ص22

[3] مؤلف مجهول. *"الغزو البرتغالي للثغور المغربية"*. ص1

[4] مؤلف مجهول. *"الاحتلال البرتغالي ومعركة وادي المخازن"*. ص4

[5] الوطاسيين: فرقة من بني مرين الزناتيين كانوا يعرفون ببني الوزير، دخلوا المغرب مع المرنيين، كانوا عنصر فتنة فأعدم الملوك عدد منهم، ثم تولوا الوزارة لآخر ملوك بني مرين، فاستفحل شرهم إلى أن جاء عبد الحق آخر ملوك بني مرين فأفناهم عن آخرهم ولم ينجو منهم سوى محمد الشيخ الوطاسي الذي تولى الملك بعد انقراض بني مرين سنة 872 الصديق بن العربي. *كتاب المغرب*، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط،3،1984م) ص 83

[6] السعديين: اختلفت الروايات في نسبهم قيل إنهم من بني سعد بن بكر بن هوزان الذي تنتمي إليه حليمة السعدية مربية الرسول (ص) وقيل إنما لقبهم العامة بالسعديين لأنهم سعدوا بدولتهم. وهي رواية الوافرني، وقيل إنهم من ولد النفس الزكية، فهم في هذه الحالة أبناء عم العلويين وهي رواية الناصري في الاستقصاء ويؤكد ذلك صاحب كتاب الترجمان المعرب. خواص مصطفى. " *التحولات السياسية في المغرب الأقصى من الدولة السعدية إلى اليوم*". مجلة التراث، جامعة الجلفة، العدد العاشر (ديسمبر 2013م) ص 3

[7] مؤلف مجهول. " *الاحتلال البرتغالي ومعركة وادي المخازن* ". ص 4-5

966هـ/1557-1558م حتى قام بالتوجه إلى سبتة و طنجة لتنفيذ مشروعه الاستعماري، ثم سعى إلى خاله فيليب الثاني يحذره من خطر عودة النفوذ التركي إلى فاس و مراكش باسم إمارة عبد المالك [2]، و رأى في احتلال البرتغال و الاسبان للعرائش ضمان ضد الخطر العثماني، لكنه فشل في مشروعه إذ لم يتوقع مقاومة في المغرب في ضوء اشتداد الصراع بين محمد المتوكل الذي نجح في الاستيلاء على فاس و عمه عبد المالك الذي نجح في الاستيلاء على مراكش[3].

و نتيجة لذلك اتجه السفير البرتغالي في مدريد إلى ملك إسبانيا يلتمس المساعدة لبلاده باسم الملك سبستيان وفي نفس الوقت التجأ محمد المتوكل إلى الملك سيبستيان بعد هزيمته أمام عمه عبد المالك في فاس ، فاتفق مع الملك البرتغالي أن يساعده في طرد عمه من المغرب مقابل أن يتنازل له عن الساحل المغربي المطل على الأطلسي و تطوان و القصر الكبير و أصيلا فقبل سبستيان بذلك العرض [4]، ثم اتجه محمد المتوكل بعد ذلك إلى سبتة فأقام فيها أربعة شهور ، ثم تابع سيره إلى طنجة بانتظار قدوم سبستيان ومن هناك وجه محمد المتوكل كتاباً لعلماء المغرب يبرر عمله، إلا أن العلماء استنكروا [5] ذلك أما عبد المالك فقد كان صديقاً للأتراك، وتعود علاقته بالأتراك يوم كان لاجئاً في الجزائر إذ تزوج هناك و اكتسب عطف الباب العالي ومحبته فساعده على استرداد ملكه و مقاومة المغتصب، كما ساعده العثمانيون في دخول فاس إلا انه تنكر للأتراك بعد عودة الحملة التركية إلى الجزائر [6].

دارت معركة حامية بين المغاربة والبرتغاليين حيث تذكر إحدى الصحف المغربية سجالات المعركة كالتالي:

بدأت المعركة أولاً ببعض طلقات المدفعية المغربية التي لم يكن لها أثر كبير على صفوف الجانبين، جعل عبد المالك المدفعية في المقدمة ثم صفوف الرماة المشاة وقيادته في القلب والرماة الفرسان، والقوة الإسلامية المتطوعة على الجانبين، كما شكل فرقة من الفرسان كقوة احتياطية [7].

وعندما أدرك سبستيان أن المدفعية المغربية أحدثت ارتباكاً في صفوف مشاته، فتقدم بقواته وأعطاهم أمراً ببدء القتال، وكانت المعركة في البداية حامية الوطيس فأظهر الإيطاليون والإسبان شجاعة كبيرة في القتال، مما أدى لتراجع المغاربة عن أماكنهم مرات عديدة.

قاد أحمد المنصور الذي خلف أخاه عبد المالك المقدمة و صدم مؤخرة الجيش البرتغالي، فبدأت الكتائب بالتراجع بعد أن وجدت نفسها محاصرة من قبل المغاربة ، الذين تمكنوا من فتح ثغرة في صفوف المشاة البرتغال و بثوا

---

[1] وادي المخازن: هو رافد من روافد ثلاثة لنهر لوكوسي الذي يصب عند نهر العرائش والرافدان الآخران هما وادي ريسانة ووادي وأزور. إبراهيم حسن شحاتة. *وقعة وادي المخازن في تاريخ المغرب 1587م*، (الدار البيضاء، دار الثقافة، د.ت) ص 219.

[2] عبد المالك المعتصم بالله: أبو مروان عبد الملك بن أبي عبد الله السيخ السعدي أخوه أبو العباس أحمد المدعو بالمنصور كان مقيماً في سلجماسة، ولما توفي أبوهما ولي أخوه الغالب بالله، ثم لحقا بتلمسان وبعدها انتقلا إلى الجزائر، ولما بلغهما تولي محمد المتوكل اتجه عبد المالك إلى السلطان العثماني طالباً مساعدته لاسترداد عرشهن الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. *الاستقصا لأخبار دولة المغرب الأقصى*، ج5، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، (الدار البيضاء: دار الكتاب، 1955) ص59-60

[3] إبراهيم حسن شحاته، *وقعة وادي المخازن في تاريخ المغرب 1587م*، ص 202-205

[4] محمد خير فارس. *تاريخ المغرب الحديث والمعاصر*، (دمشق: منشورات جامعة دمشق، 1981-1982 م) ص 49.

[5] نبيل عبد الحي رضوان. *جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث* ، رسالة دكتوراه (السعودية: جامعة أم القرى، 1987م) ص 300

[6] إبراهيم حسن شحاته، *وقعة وادي المخازن في تاريخ المغرب 1587م*، ص 216

[7] محمد علي الصلابي. *الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط* ، ج1، (بيروت: مكتبة حسن العصرية، ط1، 2010) ص 364

الرعب و الانقسام بينهم، قاوم البرتغاليون بشدة [1] و قتلوا حوالي ألفين من المغاربة لكن وصول التعزيزات لهم بين الحين و الآخر أدى إلى هلاك الكثير من المسيحيين الذي قتل قسم منهم، وولى الباقون قاصدين قنطرة وادي المخازن ففوجئوا بأنها هدمت و بمياه النهر قد ارتفع منسوبها فغرق قسم كبير منهم، بمن فيهم المتوكل و سبستيان فأطلق على هذه المعركة اسم معركة وادي المخازن او معركة القصر الكبير أو معركة الملوك الثلاث و ذلك لموت ثلاث ملوك فيها[2].

خيبت هذه المعركة آمال البرتغاليين بعد أن أعطتهم انتصارات بداية القرن السادس عشر ثقة كبيرة بأنفسهم، فأصبحوا بذلك فريسة سهلة لعدوتهم إسبانيا [3]، أما الأتراك الذين كانوا يستعدون لغزو المغرب فاجأهم خبر انتصار المغاربة على البرتغاليين في معركة وادي المخازن فتخلوا عن مشروعهم وأرسل كل من حاكم الجزائر والسلطان العثماني وفداً للتهنئة بهذا الانتصار الكبير.

الاستنتاجات والتوصيات:

بعد هذه الدراسة المتواضعة يمكن أن نخرج ببعض التوصيات والاستنتاجات منها:

1 -أن الغزو البرتغالي كان سببًا في تعاظم الأزمة السياسية والاقتصادية في المغرب الأقصى.

2 -أدت الحملات البرتغالية إلى إثارة المشاعر الدينية والوطنية لدى المغاربة، والتي أدت بدورها –بسبب عجز السطات الوطاسية – إلى ظهور قيادات دينية ووطنية أبرزها الأشراف السعديين الذين نجحوا بالوصول إلى السلطة، وتمكنوا من الوقوف في وجه الاستعمار البرتغالي.

3 -يجب التركيز على دراسة الجانب الحضاري من تاريخ العرب في المغرب الأقصى وتأثير الاستعمار البرتغالي على نمو هذا الجانب.

خاتمة:

كانت دوافع البرتغاليين في احتلال سواحل المغرب الأقصى تنبع من الحصول على موارد المغرب الأقصى وخاصة الحبوب المغربية والاستفادة من موقعه الاستراتيجي كما رأينا، بالإضافة إلى القضاء على الإسلام ونشر العقيدة الكاثوليكية، فكانت هذه الدوافع سبباً في إرسال الحملات الواحدة تلو الأخرى بهدف تحقيق طموحاتهم وأهدافهم وهذا ما سبب قلقاً واضطرابا في أوضاع المغرب خلال تلك الفترة.

---

[1] **إبراهيم شحاته، *وقعة وادي المخازن في تاريخ المغرب 1587م*، ص 219**

[2] **عبد الهادي التازي. *التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم* ، المجلد الثامن. (مطبعة فضالة المحمدية، 1988م) ص 52.**

[3] **محمد خير فارس. *تاريخ المغرب الحديث والمعاصر*، ص 47.**

المصادر:

السبتي، محمد بن القاسم الأنصاري. *اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار* . تح: عبد الوهاب بن منصور، الرباط، ط2، 1983م:133

كربخال، مارمول، *أفريقيا*. تر: محمد حجي ومحمد الأخضر وآخرون. ج 2، الرباط: دار نشر المعرفة ، 1988-1989م: 400

المقري، أبو العباس أحمد بن محمد. *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب* . تح: إحسان عباس، ج 1، بيروت: دار صادر، 1988.:744

مؤلف مجهول. *كتاب الاستبصار في عجائب الامصار* . نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد. الدار البيضاء، دار النشر المغربية،1985م:252

الوزاني، الحسن بن محمد. *وصف أفريقيا*. تر: محمد حجي ومحمد خضر. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1983م:370

المراجع:

البعلبكي، منير. معجم *أعلام المورد*. بيروت: دار العلم للملايين، ط1، 1992م:544

بن العربي، الصديق. *كتاب المغرب*. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط3، 1984م.

بو شرب، أحمد. *دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء أسفي وأزمور*. الدار البيضاء: دار الثقافة، ط1، 1984م:640

بو شرب، أحمد. *مغاربة في البرتغال خلال القرن السادس عشر* . الرباط: منشورات كلية الآداب، ط 1، 1996م:333

بو شرب، أحمد. *وثائق ودراسات عن الغزو البرتغالي ونتائجه*. الرباط: دار الأمان، ط1997م:285

التازي، عبد الهادي. *التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم*. المجلد الثامن. المغرب: مطبعة فضالة المحمدية، 1988م:328

حركات، إبراهيم. *المغرب عبر التاريخ*. ج2، الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، 2000 م:487

الحريري، محمد عيسى. *تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني* . الكويت: دار العلم للنشر والتوزيع، ط2، 1987م:422

الحموي، ياقوت. معجم *البلدان*. بيروت: دار صادر، د.ت،ج4 :501 ،ج5 :461

حنظل، فالح. *العرب والبرتغال في التاريخ 711-1720م*. الإمارات: منشورات المجمع الثقافي، ط 1، 1977م:360

زوق، محمد. *دراسات في تاريخ المغرب*. الدار البيضاء: دار إفريقيا الشرق،1990م:182

شحاته، إبراهيم حسن. *وقعة وادي المخازن في تاريخ المغرب 1587م*. الدار البيضاء: دار الثقافة، د.ت.

الصلابي، محمد علي. *الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط* ، ج 1، بيروت: مكتبة حسن العصرية، ط1، 2010 :399

عامر محمود علي، فارس محمد خير. *تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى –ليبية)*. دمشق: جامعة دمشق، د.ت: 279

الغنيمي، عبد الفتاح مقلد، *موسوعة المغرب العربي*. المجلد الثالث، ج 6، القاهرة: مكتبة مدبولي،1994م:387

فارس، محمد خير، *تاريخ المغرب الحديث والمعاصر*. دمشق: منشورات جامعة دمشق، 1981-1982م:429

الفيلالي، عبد الكريم. *التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير*. ج3، القاهرة: شركة تاش للطباعة، ط 1، 2006م: 415

كريم، عبد الكريم. *المغرب في عهد الدولة السعدية*. الرباط: منشورات جميع المؤرخين، د.ت:354

مجموعة معدين، أحمد أبو شرب، عبد الله العربي وآخرون. *دراسات في تاريخ المغرب والنهضة العربية مهداة للأستاذ محمد المنوني*. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، د.ت: 378

المجلات:

بو شرب، أحمد." *مساهمة الوثائق البرتغالية في كتابة تاريخ الغزو البرتغالي لسواحل المغرب والبحر الأحمر والخليج العربي*". مجلة المناهل: الرباط، العدد 29(مارس1983م):145-181

فكاير، عبد القادر. "*العلاقات الجزائرية البرتغالية خلال العهد العثماني*". دورية كان التاريخية، العدد الثامن عشر (ديسمبر2012م):24-30

مصطفى خواص. *التحولات السياسية في المغرب الأقصى من الدولة السعدية إلى اليوم*. مجلة التراث، *جامعة الجلفة*، العدد العاشر (ديسمبر 2013م):36-47

مؤلف مجهول. *الاحتلال البرتغالي ومعركة وادي المخازن*. مجلة دعوة الحق، العدد 190(د.ت):1-5

مؤلف مجهول. *الغزو البرتغالي للثغور المغربية*. مجلة دعوة الحق، العدد 190(د.ت):1-3

ناصف، عبد الحميد صبحي. *الخليج العربي والبحر الأحمر في وثائق برتغالية*. د.م(5 نيسان 2013): 1-3

الرسائل:

حسن، عامر أحمد عبد الله. *دولة بني مرين وسياستها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية والممالك النصرانية في إسبانيا (1269-1465م)*. رسالة دكتوراه، فلسطين: جامعة النجاح الوطنية بنابلس، 2003م: 274

-دريس بن مصطفى. *العلاقات السياسية والاقتصادية لدول المغرب مع دول جنوب غرب أوربا في الفترة 13-16م*. رسالة دكتوراه، تلمسان: جامعة أبي بكر بلقايد،2013-2014م: 462

رضوان، نبيل عبد الحي. *جهود العثمانيين في الحد من التهديد البرتغالي للنشاط التجاري في الخليج العربي P43 (1945)من خلال الوثائق العثمانية 1538-1559م*. (بحث)، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، د.ت: 49

المراجع الأجنبية:

• JOAO, DE BARROS. *Dècadas da Asia*. Lisboa: Agencia das Colónias, 1945 :155

• CASTONNET, DES FOSSES. *Les Portugais au Maroc*. Paris : Librairie Felix Alcan, 1939 : 368